

تقرير عن الحياة الأدبية في مصر

تلقت ((الأداب)) هذا التقرير الهام من كاتب مصري تعرفه ، ولكنها تحجب اسمه عن القراء لتقيه أي سوء أو ضرر ...
والمحاجة تنشر التقرير بكل موضوعية وتجرد ، اي انها لا تتبنى بالضرورة كل ما جاء فيه ، لا سيما بالنسبة لمواقف تشير الاستغراب يؤكد كاتب التقرير ان بعض الأدباء المصريين الذين نحترمهم قد وقفوا في الفترة الاخيرة ...
ولذلك ، فنحن نفتح مجال الرد والمناقشة واسعا امام النقاد وراصدي الحياة الادبية ، وخاصة امام المعنيين في هذا التقرير .

عن الديموقراطية .
واننا لنشيد بموقف الكتاب اللبنانيين وتبنيهم قضية الثقافة وعزل الكتاب في مصر ابان انعقاد المؤتمر الاخير في تونس . كما نذكر بالتقدير والقبطة اصرار ((الاداب)) وموقف الدكتور سهيل ادريس خاصة ، على تبني هذه القضية .
ونشيد هنا كذلك بموقف المفكر الفرنسي الكبير ((جان بول سارتر)) ورفاقه الشرفاء . الرجل الذي حمل دائما راية المبادرة في الدفاع عن القضايا المصرية .

ان رجعة للوراء تكمل لنا الصورة ، وتبين الفروق الواضحة في مسار الثقافة المصرية ، وليس ما يعيننا في هذا المجال ، ذكر المآثر والبكاء على الاطلال الزائلة من بنايات الثقافة المصرية السالفة ، ولكننا معنيون في المقام الاول ، بما يحدث الان في الساحة الثقافية ، في مصر ، وانكاستها الحالية ، وعلى الرغم من ذلك فانه يجب ان نذكر البوادر المشعة التي انتهت بانتهاق الفترة اثرية في حياة الثورة الوطنية المصرية ، اثر انتهاء دورها الاساسي ، وتفاعسها عن أداء دورها الكامل .

فقد فتح الجيل ، الذي يحمل الان راية النضال الحقيقية بوعيه التاريخي ، ونقائه ، وايمانه بالمنهج العلمي في تحليل قضايا الواقع المعاش ، هذا الجيل الذي يرفع الان راية النضال في الجامعة المصرية ، وفي مجال الثقافة ايضا ، والذي تزج خيرة قياداته في السجون المصرية كل يوم ، نقول : فتح عينيه على حياة ثقافية كانت مسابرة للمد الثوري في بداياته ، وكانت بشكل او بآخر ، تمثل خطوة للامام .

فبعد تأميم اهم مجالات الثقافة المصرية (دور النشر ، والسينما والمسرح) قامت عدة مشاريع كان لها اكبر الاثر في التفتح الثقافي الذي حدث اذ ذلك . وعلى الرغم من ان نوعية الكتب التي كانت تصدرها المؤسسة الرسمية (الدار القومية للطباعة والنشر) كانت في حاجة الى انتقاء حقيقي ، فان ثمة بعضا من المؤلفات الجيدة امكن لها ان ترى النور .

كانت هناك عدة سلاسل من الكتب الدورية تصدر بانتظام . اعلام العرب . المكتبة الثقافية . الالف كتاب . كتب التراث . وكانت هناك عدة مجلات تغطي النواحي المختلفة للثقافة : مجلات الشعر . والقصة والمجلة . والفكر المعاصر . والمسرح . والسينما . هذا بخلاف المجلات

على الرغم من ان مصر كانت على مر الازمان الماضية مركز الحضارة في الوطن العربي ، وعلى الرغم من انها قامت بدور الريادة دائما ، وفي مصر بالذات كان ثمة نبع مستمر التدفق لحركات متتالية فكرية وادبية ، وكانت منذ عصر رفاعة رافع الطهطاوي المورد العربي الحقيقي الاوحد للثقافة في المنطقة ، فانه يلوح في الافق بوادر فترة من انتكاسة ثقافية حقيقية ، نتيجة لما يحدث الان في الساحة الثقافية في مصر ، من محاولات السلطة الادبية الرسمية ، لعزل الكتابة ، واغلاق مجالات النشر ، وسيادة اتجاه ، كان من المفروض انه يعيش دوما على هامش الحياة الثقافية في مصر - التي لم تغل ايدا من الطفليات - وقد بدأ يتصدر الحياة الادبية - وها هي ذي الجثث المحنطة تخرج من القبور ، وتملأ المجلات والصحف ، ودور النشر الرسمية (بل وانها تزحف على دور النشر الخاصة بالطبع) . وتبقى مسئولية المثقف الملتزم ، ليس فقط مجرد الفرجة ، او الجلوس في مقهى ، واصدار التناوهات والزفرات (بله المساومة وخلافه) نقول : تبقى المسئولية على كاهل المثقفين ، ليس في مصر وحدها (وهناك من القهر والحصار ما يفوق الطاقه) ولكنها دعوة لكل الكتاب الشرفاء في الوطن العربي ، وفي العالم اجمع ، لكشف هذه الجريمة ، وتعريتها ، وادانتها ، والتنديد بها حتى تسقط .

والتقرير التالي ، لا نستطيع الادعاء بأنه سيكون دقيقا وشاملا ، ولكنه مجرد محاولة نتمنى ان تكون مخلصه في ذكر كل ما رآته العينان ، وما تعيه الذاكرة ، منذ الفترة التي حدثت فيها الحرب الاخيرة ...
ان تجاهل الحقيقة ، او اغماض العين عنها ، ذنب لن تغفره الاجيال ، وعلى المثقفين ان ينهضوا ذلك ويعوه ، فالصمت موقف ايضا ، وان القدرة على الابداع ، ليست فقط مجرد الجلوس الى مكتب ، وملء الصفحات بالكلمات ، بل ان الابداع في جوهره عملية معقدة اشد التعقيد ، تبدأ في لحظة نفاء ، وتكتمل في الشعور بالارتقاء في حضان الحفيفة ، وهكذا يحدث التواصل ، وليس ثمة امكانية لحدوثه في مناخ ملوث ، يساهم فيه الكتاب بصمتهم او مساوماتهم ، بمثل ما يحدث ، وللأسف الشديد ، ممن كنا نتصور انهم وادنا ، الذين يجب علينا - نحن الاجيال الطالعة - محاكمتهم بعنف ، ووضعهم امام مسئولياتهم ، ويجب علينا ان نذكر بكل القبضة مواقف الكتاب المصريين الشرفاء ، الذين ضموا اصواتهم الى اصوات الشبيبة دفاعا

التي تصدر عن دور الصحافة . فما الذي جعل هذه المجلات ، التي من المفروض انها خدمات ثقافية في المقام الاول ، تكف عن الصدور ؟ بخصوص مجموعة المجلات الاولى ، فقد لاقى هجوما عنيفا انتهى بها الى التوقف ، وكان الدكتور لويس عوض حامل لواء هذا الهجوم ، ولقد كان هذا الهجوم مصيبا في احد جوانبه ، اذ كانت نوعية المنشور في هذه المجلات لا تمثل في الحقيقة وجه الثقافة المصرية الجديدة ، وبمجرد صدورهما استطاع السلفيون من الكتاب السيطرة على مقدراتها ، واستتبع ذلك بالطبع ، خطأ في سياسة اصدار هذه المجلات . وان اعداد القصة والشعر كلها لا تحفل بأكثر من قطعة أو قطعتين « يمكن وضعها في اطار الادب الجيد ، ولكن كان من المفروض بدلا من ان ينصب الهجوم على افعالها ، الدعوة الى تغيير سياستها وتغيير نوعية الشرفين عليها ، فما الذي يمكن ان يتوقعه المرء من كاتب عفا عليه الزمن ، كمحمود تيمور ، او ثروت اباطة ؟ او ناقد يمكن التأثير عليه ، وليس له موقف محدد من اية نوعية ادبية ، كالدكتور عبد القادر القط ؟

ولكن ، على الرغم من ذلك ، وفي الساحة الاوسع ، لا يمكننا الا ان نذكر الجهود الطيبة التي قامت بها المجلات التي استمرت في الظهور بعد هذه الفترة ، مجلة « الفكر المعاصر » ومجلة « المجلة » ، فعلى الرغم من اختلافنا في المنطلق مع الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور زكريا ابراهيم من بعده ، فاننا لا نستطيع ان نقول ان نوعية المنشور في مجلة الفكر المعاصر كانت على هذه الدرجة من السرداء التي كانت سائدة في مجلتي القصة والشعر السابقتين ، وعلى الرغم من كل شيء ، فان الاستاذ يحيى حتى اتاح فرصا عديدة لاعمال جيدة لتظهر على صفحات مجلة « القصة » .

كما لا يستطيع احد ان ينكم ما قام به مشروع « الالف كتاب » من تقديم مؤلفات التراث العالي وثقلها الى العربية ، وكان من الممكن ، لو قدر لهذا المشروع ان يستمر ، ان يجد القارئ العربي بين يديه كما هائلا ذا نوعية جيدة من التراث الانساني .

كما ان سلسلة « اعلام العرب » ، التي كانت تصدر في البداية مرتين في الشهر - كانت محررة للباحثين في مجال التراث العربي ، وحتم على التنقيب في آثار الاعلام الاول .

وكانت سلسلة المكتبة الثقافية تغطي مجال الابحاث العديدة ، فأصبحت مجالاً يجد فيه البحث المختصر فرصة للوصول الى يد القارئ العادي ويسعر يتناسب مع امكانيته على الشراء .

كما كانت سلسلتنا « المسرح العالمي » و « مسرحيات عالمية » تنقلان وتفتيان ، بالابحاث القيمة الملحقة بها ، حركة المسرح العالمي ، القديم والحديث .

وكانت مجلة « تراث الانسانية » تقدم ابحاثا اكااديمية تهتم التخصص في معرفة اهم جوانب التراث الانساني بشكل عام . ولكن قدر لهذه الدوريات كلها ان تتوقف ، وكان شرف افعال هذه المجلات واقعا على كاهل المخططين « لسياسة النشر المباشرة » وعلى رأسهم الدكتور سهير القلماوي ...

وان ما حدث فيما تلا هذه الفترة ، وخلالها ، حكاية باكملها ، اشبه بالهزلة الحقيقية .

فقد بدأ الصراع على أشده بين دعاة الادب الجديد ، والادب القديم ، وكان وجه الادب الجديد قد تغير - هذه المرة - تغيرا كفيما ، وبدأت بوادر حركة ادبية وفنية تحمل في غصونها قيمة الادب الحقيقي ، مينة زيف السائد في هذه الفترة ، والذي كان خليطا بين القديم حامل الفكر السلفي ، وبين القديم ذي النوايا الحسنة ، وبين الجديد الذي أصبح قديما بفعل الزمن وتطور التاريخ .

كانت مدرسة الواقعية الاشتراكية الاولى قد كفت عن العطاء ، وارتمى روادها محمود امين العالم ولطفي الخولي وعبد الرحمن

الشرفاوي ويوسف ادريس ، في أحضان المناهض الرسمية ، وبدلاً من ان يواصلوا النضال مع النفس ، في نخطي القوالب القديمة ، والمرور بمرحلة الدعائية الى مرحلة الاضافة الحقيقية ، آثروا الراحة في مناصبهم الجديدة ،

وما حدث في اعقاب ٦٧ وقيام حركة الادب الجديد ليدعو الى وفتة خاصة ، فاي حكاية غريبة كانت ؟

في بدايات ١٩٦٨ ظهرت بوادر هذه الحركة متبلورة في مجموعة اتجاهات متقاربة ، وكان المجال يدعو الى تجمع خاص خارج مجالات النشر الرسمية التي مرت بمراحل تخطها السابقة ، وكان ان اصدر مجموعة من الشبان مجلة خاصة (جاليري ٦٨) التفوا حولها وفي نفوسهم شوق شديد لتغيير وجه الادب .

وكان ان حمل الراية - في الساحة المتاحة - جيل بدا لكثرة عدده « مسيرة شعبية » ... لسيادة الادب الجديد التابع من معرفة شمولية ، والتفات الى « القيمة الحقيقية » في عملية الابداع . ولكن الامور ظلت مع ذلك مختلطة الى حد بعيد . على ان ما حدث كان يحمل بعض التباين ، وقد شاركت الصفحة الادبية لجريدة المساء في دعم هذه الجهود .

وقامت « المعركة » بمبادرة من الشاعر المعروف « احمد عبدالمعطي حجازي » بفتح الصفحة الادبية في « روز اليوسف » امام الجدد ليعبروا عن آرائهم في وجه الرسمي والسائد ، الذي كان هو ايضا ، خليطا من القيم الحقيقية والزيف المنفشي . واتهم الجيل الجديد ، الجيل القديم بمعاداته وقفل مجالات النشر في وجهه . ورد الجيل القديم بجهل الجيل الجديد ، وضحالة ثقافته ، وخرجت الامور عن نصابها الصحيح ، وجرت المياه في مصب آخر .

ثم تلقت هذه الدعوة مجلة « الطليعة » ، فأصدرت ملفا خاصا « هكذا يتكلم الادباء الشبان » ووزعت استمارة تطلب فيها من حاملها الاجابة عن تساؤلات خاصة بموقف حاملها من ابداء رأيه في الابداء القدامى ، وعن رأيه في قضايا الوطن ، ومشكلة اسرائيل ، وبتصفح جديد لصفحات الملف ، تكتشف ان هذه الاستثمارات وقعت ربما بطريق الصدفة بين ايدي شبان جدد حقا ، ولكنهم لا يمثلون اية قيمة من اي نوع ، وربما كان ادخالهم في العطية مقصودا ، لا ندرى ... فقد كانت الامور تجري من اولها الى آخرها ، في طريق خاطيء ، وبطريقة مشوشة ، وكانت اشبه بالمعركة التي اختلط فيها المنافقون باصحاب الدعوة ، بالاعداء الصراح ، ورد الكبار الهجوم بنفسهم التهم القديمة الغربية ، والتي تتجاهل - على فرض حسن النية - المسار الصحيح لاية حركة ادبية طالعة . وساهم حتى لويس عوض في خلط الامور . فبدلا من ان يقوم بدوره النقدي ، ويقوم بدراسة وافية لما وقع بين يديه من اعمال حقيقية ، ورفض للمدعين الزائفين ، أبدى رأيه بوصفه واحدا من الكبار القدامى المدافع عن القديم . على الرغم من ان واحدا لا يستطيع ان يضع الدكتور نفسه في نفس المقام مع الدكتور سهير القلماوي ، واتهمت الدكتور المذكورة الشبان كلهم بعدم معرفتهم قواعد الاملاء (وانتهت منهم بهذا القول الفصل !)

وكان موقف لطفي الخولي ذكيا كعادته نفس الذكاء الاجتماعي الذي يؤمن دائما بجناوه (وقد أثبتت الظروف عكسه) وماذا قال الدكتور عبد القادر القط ؟ نفس الموقف (والطريف في موقف الدكتور من هذه الحكاية - انه قد ثبت فعلا - فضلا عن عدم قراءته لاي عمل من اعمال الشبان في هذه الفترة - انه لم يقرأ الاستثمارات نفسها ، والتي من المفروض انه يعلق عليها ، واكتفى بسماع انطباع عام ، وبالطبع - لزوم الشغل - قرأ واحدة ، بالصدفة كانت لاحد أكثر الشبان « هيافة » و فراغا وضحالة !)

وهكذا حدثت « لخطة » شديدة ، وكان الحكاية مجرد تبادل شتائم بين كبار السن وصغارهم ، ولكن كان صوت الغضب ما يزال

قائما . ووصلت الاصوات الى اذان المسؤولين ، وقامت امانة الدعوة والفكر في الاتحاد الاشتراكي بدور « عظيم » آخر في احتواء الحركة ، ودعي « الجند » للتصير عن آرائهم في الساحة الرسمية ، وعلى امتداد النظر كله عقدت نوات أدبية ليصبر فيها ممثلو الجديد عن آرائهم ، ولم تكن ندوة تخلو من موفد رسمي (فضلا عن ان الندوات نفسها نظمتها امانة الدعوة والفكر) من قبل منظمة الشباب ، على هيئة اديب شاب ، واهيانا ، ويا للراحة ، مجرد موظف ، وانتهت موجة الندوات بمقد مؤتمرا الادباء الشبان الاول في الزقازيق ، واشيع قبل انعقاده ان رياسته ستوكل الى نجيب محفوظ ، وفي يوم الافتتاح ، (ويا للمفاجأة !) افتتح المؤتمر شعراوي جمعة وزير الداخلية ... ولم يعد ثمة ذكر لنجيب محفوظ .

ولكن استطاع البعض رفع مطالب الجند ، والمناداة بفتح مجالات النشر امامهم ، واخراج المعتقلين من الكتاب ، والمناداة بقيام اتحاد عام للكتاب ، يضم كافة القوى الوطنية في هذا المجال ، ولكن هذا النداء الأخير ، والذي كان من المفروض انه اكبر القضايا المطروحة في المؤتمر ، شطب نصه ، وابتعد عن المناقشة ، واختفى في صيغة هزلية سميت توصية بالعمل على وجود اتحاد للكتاب (وكان ان يسرر المسؤولون هذا الرفض بأنه ليس في مصر غير اتحاد واحد هو الاتحاد الاشتراكي بنص الدستور !)

وانفض المؤتمر عن تعيين مقررين من الجند وممثلي الاتحاد الاشتراكي (منظمة الشباب) للعمل على تنفيذ توصيات المؤتمر ، وتسجيلا للحقيقة ، قامت ثمة معركة حقيقية بين بعض الجند ولجان الاتحاد الاشتراكي ، ولكن النتيجة لم تكن مشرفة ، وانتهت الحكاية ، - وككل حكاية - بالوت ...

وكانت (جاليري ٦٨) تعاني الام المخاض ، وفي كل عدد كانت تعاني مشكلة التحويل (لم تكن قد اكتسبت عدد القراء الكافي لتعتمد عليه) وبفضل جهود بعض اصديقاتها ، وبعض التبرعات الهزيلة ، ومساعدة منتزعة من فم السكرتير العام لهيئات الثقافة المصرية - يوسف السباعي - وعن طريق ادوارد الخراط ، الذي هو في جانب كبير منه ، مجرد موظف في دائرة السكرتير العام ، وبفضل الصراخ العظيم ، كانت مصلحة السكرتارية العامة ، تنفضل بالقاء عظمة او عظمتين كمساعدة لسد هذه الفوهة الناتجة ، بحجة عدم الوقوف في وجه الجديد ، وضرب المثل ، وعلان الشهادة للبشر كافة باننا : لا نمنع الواهب ولا نقف في طريق الجديد !

وكان تشر (ثم توقف) (جاليري ٦٨) حزنا جديدا ، ونعتقد انها كانت تجربة في حاجة الى تبلور اكثر ، منذ اللحظة الاولى ، فلم تكن الامور تجري في طريقها الصحيح البلور ، في اتجاه جاد وحقيقي ، يشمل فروق التكوين الاول ، ولكن ليس كالفروق بين مجرد التحمس والوهبة الحقيقية الواعدة ، بوضع القيمة الحقيقية النابعة من معاناة الواقع في جوهره موضع الصدارة .

وقد صدر عدد خاص بالقصة القصيرة المصرية كان له نوي كبير في ارجاء الوطن العربي ، ولكن وقت فيه نفس الاخطاء ، من تشيل البعض دون وجه حق ، ووضع الكتاب المعنيين بمجرد « مشكلة الثقافة » على نفس المستوى مع الواهب الحقيقية ، مع بعض التجارب التي هي مجرد محاولات شكلية ، واخطط الحابل بالنابل ، ولكن كان الاثر قد امتد الى مجلتي الهلال والمجلة فاصدرتا عددين خاصيين بالقصة القصيرة ، ولكنهما كانا اقل نويا ، وحدث فيها خلط وبلبله اكثر . وكان ان وقع خطأ اساسي في النظرة الى الاديب بنفس مقياس « هاوي الادب » التحمس .

ولم تصدر « جاليري ٦٨ » بعد هذا العدد سوى عددين كانت على اثرهما قد استهلكت امكانياتها ، وفقدت اللون المادي بالرة ، وقام شقاق بين المشرفين على اصداؤها ، انتهى بتوقفها التام ، دون

حتى امل في الرجوع .

وكان النشاط الذي دب في الصفحة الادبية لجريدة « المساء » ، منذ بدايات الحركة ، قد انتقل اثر تولي محمود امين العالم رئاسة تحرير « الاخبار » ، الى الملحق الادبي للاخبار ، وكان عبد الفتاح الجمل يناضل بقسوة لتمكين المواهب الحقيقية من الظهور على صفحات الملحق ، ولكن لم تستمر هذه الحكاية طويلا ، اثر تغير حدث في السلطة السياسية ، ادى الى تغير في المناصب ، ادى (وهكذا) الى عودة المشرف الى الصفحة الادبية لجريدة « المساء » المتواضعة ، ولم تمض فترة قليلة حتى تغير رئيس تحرير « المساء » وجاء بدر الديب منشبا انيا به في وجه المشرف ، مما ادى الى الكف عن نشر الجديد ، واقفلت الصفحة .

ولقد تولى انيس منصور ورشدي صالح الاشراف على الملحق الادبي للاخبار ، وقد نشرا في عدة اعداد تالية مجموعة من القصص تحت مانشيت « الادباء الشبان » وكان مثالا ردينا بحق ، والظريف (اذا اعتبرنا للحظة ان الادب الشاب يكتبه صغار السن) ان هؤلاء الشبان قد تعدى اصغرهم الخماسية والاربعين ، وهم (هؤلاء انفسهم) قد صدرت لهم مجموعة مشتركة في دار الكتاب العربي ضمن ما كانت تصدره تحت هذا الشعار « الادب الشاب » وهكذا يبدو لنا التلفيق واضحا ، وكان ذلك كله مقصودا لضرب الحركة من داخلها ، وبهذه الطريقة من الخبث والسفالة .

وفي غضون هذه « المعمة » كان ان تسولى رئاسة تحرير « الهلال » رجاء النقاش ، الذي يملك قدرة على التخطيط الناجح في مجال النشر (كاي ناشر غربي) واستطاعت « روايات الهلال » تحت اشرافه ان تقدم في بعض اعدادها اعمالا لا نشك في قيمتها (على سبيل المثال : موسم الهجرة الى الشمال ، ابناء وعشاق ، صمت البحر ، اميركا .. الخ) . وكان هذا النشاط ، بطريقة اخرى خارج مجال الحركة بين القديم والجديد ، يتجلى بسبب بعض العداوات الشخصية لرجاء نفسه ، ثم بسبب التوقيت ، اذ كانت المعركة في نهايتها تقريبا .

ثم ماذا كان موقف الرواد حقا ؟ بالنسبة للويس عوض فقد تحدثنا عن موقفه من خلال الاحداث السابقة . اما نجيب محفوظ ، فقد اكنفى ، كعادته دائما ، بتحفظه الشديد ، وتوزيع الاتسامات على اللتفين من حوله من الشبان في جلسته الشهيرة بمقهى ريش ، وقدم معاونة مادية او اثنتين ل « جاليري ٦٨ » لا تتم على اكثر من تحفظه هذا ، وكان بإمكانه اذ ذاك تقديم اعمال الشبان ، الامر الذي يرفضه دائما ، او العمل على فتح الابواب لهم ، او قول رايه بصراحة فيهم اذا كان رايه مخالفا للموافقة ، ولكنه كان يبدي رغبته ، اغلب الوقت ، في استمرار هذه « الهوجة » بشكل او باخر ، ربما لانها تخدم مصالحه في ضرب الاتجاه المعادي (الذي يستحق بالفعل ذلك) ، ولكن هذا اذا صح ، موقف غريب لا يخدم المصلحة الحقيقية لقيمة الادب الذاتية نفسها . ويساهم الى حد كبير في تشويش الامور ، وقيام المعركة على اساس المصالح الشخصية ، وقد اصبح كاتبنا « نجما » الان ، وكان - كما لا يزال - يعيش على ماثره السابقة الحقيقية (الثلاثية . ثرثرة فوق النيل . ميرامار . قصته القصيرة الوحيدة : تحت الظلة) .

اما يوسف ادريس فقد مد يد الصداقة المجردة لبعض الشبان ولكنه كان يعاني مشاكله الشخصية ، فاخذ « يتنبه » الى نفسه ومستقبله المشرق في « الاهرام » ...

وفي اعتقادي ان كثيرا من روادنا يعانون من مشاكل خاصة في مجال الابداع قبل اي شيء آخر (مما يجعلهم يلجأون الى ماثرهم السابقة ، ويعتمدون على كونهم أصبحوا نجوما) ، فان البوادر العظيمة التي أتجزها نجيب محفوظ ويوسف ادريس كانت نابعة من القوى الكامنة في موهبتهما الكبيرتين ، وفي حماسهما البكر (الذي

وأن أمتد إلى الأربعين لكنه هو نفسه (ولكن ذلك ، كما علمنا بيكاسو وهمغواي وفونكر وبقية الإفذاذ في عصرنا وفي العصور السالفة ، غير كاف بالمرة ، فخلف كل اكتشاف اكتشاف جديد ، وكل عمل يحل مشكلة نوعية سابقة يطرح مشكلة نوعية جديدة ، وهذا هو جوهر الاستمرار .

لكن كاتبنا الكبيرين كفا (كالمجموع) اثر البدايات الحقيقية عن مناقشة القضايا النوعية لفنهما ، واقتصرا على مجرد الكتابة التي هي « تأليف » ، استنادا على مجرد القدرة على الكتابة . فعلى سبيل المثال ان الاكتشاف الذي حققه بيكاسو وهو في سن السابعة والعشرين والذي لخصه في قوله : ان اللوحة سطح ، ولا يمكن الايهام باختراقه ، عن طريق البعد الثالث ! فاده بساموره الى التفكير في الظل كعنصر مرئي ذي حضور ، وحل هذه المشكلة بطرحه - الظل - داخل اللوحة ، على السطح ، وقاده ذلك ، اثر تجارب (يشيب لهولها الولدان) الى التكيفيصة . كما يمكننا ان نلمس هذه العناية المذهلة للكتاب الروائيين في احاديثهم حول أعمالهم ، وبين يدي القارئ سلسلة الكتب المعروفة rifiers of work يجد فيها امثالا عديدة لهذه الانجازات ، وهذا معروف وشائع بالنسبة لبيكاسو ، ربما بسبب استقراريته حتى سن متأخرة ، ودرجة الشهرة التي لقيها ، وفي مساره ، كان دائم الرفض لاكتشافاته نفسها ، بعد ان يشعر (بهذا الاحساس الواعي المذهل) بان اكتشافه نفسه يفرض اكتشافا آخر ، وهكذا .

وكان هذا الرفض الكامن ، متضمنا في ثناياه موقف الرفض العظيم (لنعم) الخائفة ، وحتى في المجال السياسي بالطبع . فالوقوف من الرفض واحد ، هو كما في مجال الابداع ، ومعاناة المشكلات النوعية والشكلية ، كما في مجال الممارسات العملية للقضايا المطروحة يوميا . وحتى لا يحور هذا الكلام ، لا أنسى ان اذكر ان هذه القدرة على النفي ، قدرة على ابراز القيمة ، واطهار الجوهر . هكذا يمكن ان يقال ، وعلى هذا الاساس ، بعد فكرة «البكورا» لمبدعينا ، تنضب الآبار ، ويكفون عن العطاء ، وان الانتباه الحقيقي ، والخطر الحقيقي - ليس مجرد التحفظ في الحديث في المقامي (فكلنا يعرف ان في كل مهني عيونا ، وعلى كل تليفون مراقبة) ولكن في الخطر الكامن وراء خطوات السير في طرق النصبوب المهلكة .

وانت يا سيدي توفيق الحكيم ، كيف يمكن ان يتحدث المرء عن قصة الاديب (ق.ع) (وانت الآن في موقف جديد ؟) التي نورتها ونشرتها على صفحات « الاهرام » ، بقصد الاساءة الى جيل . مسا الذي جعلك تحاربه بهذا الاسلوب ، وعلى هذه الدرجة من القسوة ؟ ثم افتراضك الغريب ، الذي يتضمنه موقفك بالطبع ، لخلوه من موهبة ربما حققت آمالك أنت نفسها في الادب ؟ كيف يمكن للواحد ان يتذكر هذه المسرحية ولا يشعر بالخجل الشديد ؟

انا ، على كل حال ، نتمسك بك باعتبارك صاحب موقف جديد ، هذا الموقف البطولي ، واصدارك للبيان الشهير ، وربما كان هناك عنر لكبار السن ، نظرا للهرج والمرج الذي ساد في تلك الفترة وكان باعثا للخوض في اللعبة ، بنفس الطريقة وعلى نفس المستوى .

واكمالا لبعض ملامح الصورة نذكر بعض الاحداث التالية ، والتي كانت جارية في هذه الفترة ، فقد دخل الحلبة ايضا الشاعر صلاح عبد الصبور ، ونذكر كم كان قد تخلى عن صلاح عبد الصبور مبدع « احلام الفارس القديم » و « الناس في بلادي » ورضي بمنصبه في الدار القومية للطباعة والنشر ، وكم حارب - من خلال منصبه - بالفعل مواهب حقيقية ! ولقد بشرنا في أحد

أعداد الملحق الادبي لجريدة « اخبار اليوم » (الذي كان قد انتقل الى ايدي رشدي صالح وانيس منصور ، وتحوّل بفضلهما الى غطاء يضاف كل يوم أحد لمجموع ما هو قائم فعلا من غطاء) بأنه سيقوم بعمل دراسة متكاملة عن الادب الجديد (وكم خالج البعض من أمل ، في أول صوت يأتي مختلفا ويقيم الحركة بجدية !) ، ولكننا نفاها في أول مقال تال بتناوله لكاتب متواضع الموهبة (لكنه مهذب ولم ينل من صلاح عبد الصبور وقد كانت الهوجة موجهة بعض غضبها اليه ...) . وقد أثبتت الظروف التالية (الكاتب الشاب المذكور لا يتورع الآن عن الخيانة الصريحة واصبح واحدا من حاشية صالح جودت) اثبتت فضائله وزيفه ، واذا بصلاح عبد الصبور - ودون استناد الى أي منهج نقدي أو اساس فني سسوى معاداته لبعض الشبان الذين تجرأوا على شتمه والكلام عنه بما لا يليق - اذا بسه ينصبه اميرا على حركة الادب الجديد !

وفي المقال التالي ، وتأكيدا للمسألة الشخصية ، يتناول صلاح عبد الصبور كاتبين دفعة واحدة ، هو يعرف وجه التنافس بينهما ، ويضع كلا منهما في مواجهة الآخر - جمال الفيضاني ، ويغيب الطاهر عبد الله - ويأتي للاول « منحة » تؤهله لان يطلق عليه وصف كاتب ، ويسلب الآخر هذه المنحة ، ويسميه « مشروع كاتب » ! ويا له من تحيز واضح ، ووقعية متعمدة بين صديقين متنافسين بشرف في مجال يحق فيه التنافس ! وانتهت مقالات الكاتب بهجوم انصب عليه من كسل اتجاه ، وفي النهاية ايضا ، لم يحدث شيء .

ولقد كان لهذه الكتابة كلها - المعركة بين الجديد والقديم - مؤيدوها ومعارضوها ، وكان الجميع يتخبط ، غير ان ثمة بسادرة كان من الممكن ، لو قدر لها الاستمرار ، ان تشر كثيرا . فقد بدأ حوار فعلي ، وعلى نفس المستوى من كل بادرة حقيقية ، بين طرفين ادعى كل منهما الانتساب للواقعية الاشتراكية ، ولكن يمكن تلخيص موقف كلا الطرفين ، في الانتساء الى كل من مدرسة الواقعية بلا ضفاف ، والواقعية الاشتراكية الكلاسيكية ، ولها سندها الحالي في الصراع الذي ما يزال دائرا بين النقاد الواقعيين في العالم كله . وكان يمثل اتجاه الواقعية بلا ضفاف ، الناقد الروائي غالب هلسا ، ويمثل الاتجاه الآخر ابراهيم فتحي وخليل كلفت ، وكان ان أثمر هذا الحوار عدة مقالات جيدة على صفحات « جاليري ٦٨ » وصفحة المساء الادبية ، ودخل في الصراع شفيق مقار وصبري حافظ وادوارد الخراط .

ثم كانت هناك احداث تجري في مجال الشعر العامي ، يجدر الاشارة اليها ، على وجه التخصيص . ففي نفس فترة ظهور كتاب القصة والشعر الجدد ، كانت ثمة مجموعة - وهذه في الحقيقة لا يمكن حصرها على وجه الدقة نظرا لطبيعة الشعر العامي وشيوعه في ارجاء مصر - تحاول الوقوف بجوار المدرسة التي رسخت اقدامها من قبل وعلى رأسها صلاح جاهين ، وعبد الرحمن الابنودي ، وقد قصدهما الجدد - هما بالذات - باعتبار ان الاول قد تخلى عن الشعر الى أنواع أخرى أكثر درا للريح ، واعتبار الثاني تخلى عن النضال في أشعاره الى كتابة الاغاني الخفيفة والملاحم المنتملة ، والتجارة بالاحداث الجارية .

ولقد رفع هذا الجمع - بعيدا عن هذا الهجوم الخاص - من شعراء العامية المصريين ، راية النضال الحقيقية ، وعملوا بكل قدراتهم على الذهاب الى الجماهير ، في القرى والانحاء والتجمعات الطلابية ، ومكنتهم طبيعة الشعر العامي من الاقتراب من قطاع عريض من الجماهير المصرية - التي كانت قد تكشفت لها الحقائق وبدات في ثورة غضب - واصبحت اغنيات الرفض لاحمد فؤاد نجم ، ونجيب شهاب الدين ، ومحمد سيف ، واسامة الفزولي وغيرهم كثيرين ، تتردد على كل لسان ، كأغنيات تحمل اشواق الفسوليين على امرهم

وتبشر بأملهم في غد أفضل . كعسوت رافض للقهر ، والزيف ،
والتسلط ، وتشويه وجه التاريخ . وان هؤلاء بالذات يعانوا الضرب
العنيف واليومى ولكنهم يقفون بصلابة وشرف مع الطلائع الجديدة
من مثقفين وطلاب ، في خوض معركة الديمقراطية ، ورفض الحلول
الإنهزامية .

ولقد كان ثمة نور حقيقي وجاد ، قامت به مجلة « الطليعة »
المصرية ، اثر صدور الملحق الادبي لها ، وكانت اول بادرة جادة
تتناول الادب الجديد بتقييم نقدي جاد ، وعلى امتداد عام وعدة
اشهر ، أصدر الملحق دراسات لاهم الكتاب الشباب (وان كان قد
تنوسي كاتب أو اثنان ، فانه خطأ صغير) ولكن المهم ان هذه
الدراسات التي تناولت كلا من أمل دنقل ومحمد عفيفي فطر
وابراهيم ابو سنة وعبد الرحمن الابنودي من الشعراء ، وابراهيم
أصلان وعبد الحكيم قاسم ويحيى الظاهر وجمال الفيضاني ومحمد
ابراهيم مبروك ومحمد حافظ رجب من القصاصين ، كانت دراسات
جادة في المقام الاول ، وأصبح من الممكن القول بان ما حدث على
صفحات « الطليعة » ، كان تناولا جادا (لأول مرة) لادب الشباب ،
وكان النشاط الذي امتد على صفحات الملحق الادبي هو آخر عهد
الحياة الادبية من نشاط في مصر ، ليس فقط لهذا الاهتمام الخاص
بالادب الجديد ، ولكن لان الملحق بالفعل كان يقدم مستوى جيدا
في كل ما ينشر ، وكان قد بدأ في ادارة حوار حقيقي بين الاجيال
المختلفة ، ولكن جاء العزل وشمل أهم المشرفين على اصدار الملحق :
غالي شكري ، والدكتورة لطيفة الزيات ، وصبري حافظ .
وبالطبع ، أصبح الملحق محاصرا بالجو العام السائد الآن ، وقد
غدا مسخا لا يمثل الكثير في الحياة الادبية ، نظرا للظروف العامة
التالية .

وبعد ان هدأت معركة القديم والجديد هذه ، حاولت مجموعة
من الكتاب ، انشاء جمعية ادبية سميت « كتاب الغد » كان أغلب
أعضائها من الشعراء والكتاب ينطلقون في البداية من نقطتين
أساسيتين ، أولاهما : رفض أجهزة الدولة الادبية لما هي عليه من فساد
وضحالة وزيف ، وثانيتهما : تبني قضية الوطن في أشعارهم ومقالاتهم .
ولئن كانت الجمعية لم تقدم انتاجا واضحا سوى ديوانين متوسطي
القيمة ، فان نواياها كان واضحا فيها هذا الاتجاه ، الذي ينحي
منحى اجتماعيا ، وربما بالتضحية بالقيمة العالية من الفن .

وعلى الرغم من ان الجمعية - ومنذ انشائها - لقيت حربا
لا هوادة فيها (كسعي أجهزة الامن لدى اصحاب الاماكن التي
تستأجرها مؤقنا لطردهم ، حتى أصبحت في النهاية بدون مكان
ثابت) فانها بشكل أو بآخر كانت تواصل نشاطها ، وذلك - بالطبع -
أدى الى ان يلقي الشعراء والكتاب اعضاء هذه الجمعية ، ضروبا
مختلفة من الحصار والقهر ، الا ان ذلك لم يكن متهما في سياق تخبط
أجهزة الدولة المختلفة ، ولكن الامر وصل الى حد الاعتقال ...
ففي البداية تم اعتقال الناقد ابراهيم فتحي وخليل كلفت وشفيق
الثاني القصاص علي كلفت ، وكان ذلك منذ ثلاثة اشهر تقريبا .

وكانت حكاية اعتقال ابراهيم فتحي خاصة ، مأساة كاملة بحق ،
فقد تمت ملاحقته عدة اشهر ، الا انه استطاع الهرب ، وفي أثناء
فترة هربه عملت أجهزة الامن - عن طريق شركة التأمين التي يعمل
فيها كمرجم - على التشهير به ونشر صورته في جريدتي « الاخبار »
و « الجهورية » عدة مرات ، كاي هارب من وجه العدالة ، أو كاي
مختلس أو مرتكب جريمة أخلاقية ، طلب من المواطن الذي يشاهده
الإبلاغ عنه لخطورته مقابل منحة مجزية ...

ولكن أي مواطن لم يبلغ عنه ... بل استطاعت أجهزة الامن
عن طريق عيونها البشوة في الحياة الادبية المصرية ، التوصل الى
مكانه وتم اعتقاله .

وإذا سألت عن السبب ، لم تجد الا رجوع الصدى ، ويتأكد لك
عبث اسئلة كثيرة في هذه الحياة الغائبة .
ثم قام أعضاء من الجمعية بتلبية دعوة لناد ثقافي في قرية
من قرى شبين الكوم ، وبعد انتهاء الندوة تم اعتقال الشعراء اعضاء
هذه الندوة وهم : عزت عامر ومحمود الشاذلي واحمد عبيدة .

وقد تم الافراج عن محمود الشاذلي بعد يومين من الاعتقال
لانه لم يعثر في حوزته على أوراق (بالصدفة كان هو الوحيد الذي
يحفظ أشعاره) ، أما عزت عامر واحمد عبيدة فلا يزالان معتقلين
حتى اللحظة الراهنة ، « متلبسين » بأشعارهما المكتوبة ...

وقد حدث ان السيد ضابط القسم الذي تولى التحقيق الميدني
مع الشعراء لم يكن على علم بعلة أحمد عبيدة الطبيعية (فهو أصم)
وذائق عليه للمثول بين يدي حضرته فلم يسمع ، فلم يكن منه الا
ان قام ولطمه على وجهه . فاستفز عبيدة وأمسك بملابس الضابط
الحكومية ، وفي التوت انقض عليه الحرس الواقفون عند الباب ،
وما رآه عبيدة لم يره أحد . فقد انهالوا عليه ضربا وركلا حتى
سقط على الارض وتم نقله للمستشفى اثر تهديد زميله عزت عامر ،
الذي طلب حضور الطبيب الشرعي .

وعلى الرغم من ان الطبيب قد أثبت فعلا ان المجني عليه
تعرض للضرب المبرح ، فما عسى أن يجدي ذلك في مثل هذه
الحال ؟

وإذا عدت تسأل عن السبب تأكد لك عبث السؤال مرة اخرى
في هذه الحياة النافهة الغائبة .

وان هذا - وتباشير اخرى عديدة - ليضاف بالطبع الى رصيد
الاعتقالات التي تمت في فترة الحركة الطلابية لعدد من الكتاب
المتعاطفين مع الطلائع الجديدة وهم الكتاب الذين تم الافراج عنهم
مؤخرا : صافيناز كاظم ، وأحمد فؤاد نجم ، ومحمد سيف ، وسمير
تادرس ونبيل الهلالي ، وقد كان لقبضتهم صدى واسع النطاق
في كثير من الصحف والمجلات العربية .

وان ما يحدث الآن في الساحة الثقافية في مصر لا يمكن عزله
عن بقية الظروف ، فمن المعروف ان الخطأ في الفنون اذا ساد
على هذه الدرجة من الشيع أصبح دليلا قاطعا في يد دارس هذه
الفترة الادبية ، على ان الخطأ ليس في الفنون وحدها ، ولذلك
يبو ان الحرب التي تشن على الثقافة مقصود بها في المقام الاول
رجعة متممة للوراء ، لان الثقافة في النهاية درجة من الوعي
تخشاها السلطة كل الخشية ، فان الاجيال الطالمة من الرافضين
تتسلح في المقام الاول ، في حركة نضالها ، بالثقافة . وهكذا تصبح
عملية التجهيل « جريمة » حقيقية ، إيمانا بان قيادة الشعوب
الجاهلة والتخلفة أسير من قيادة شعب مثقف .

وما سبق كله مجرد سرد للاحداث التي سبقت هذه الفترة
الانتكاسية الراهنة ، فترة اشاعة التجهيل التعمد ، وقتل الثقافة ،
ولو مجرد الثقافة ، واخراج الجثث من قبورها ، واشاعة الاصوات
العفنة ، وعمليات التخدير المنظمة للجماهير ، بفتح أجهزة الاصلاح
على مصراعيها للاكاذيب والاعمال ذات المستوى الهابط ، والافغيات
النافهة ، والمسلسلات التي تتغدغ الحواس المتبدلة في الجماهير .
ان هذه الفترة لم تشهد لها مصر مثيلا في العصر الحديث ،
بهذه الدرجة من الحدة ، والوضوح ، وسيادة اتجاه عام من
الابتذال .

ويجب التنبيه الى ان خطورة هذا لا تخص فقط الحياة الثقافية
في مصر ، بل انه يساهم فعليا في قتل الاجنة البازغة في انحاء
الوطن العربي ، كما يساهم في تفتيت وعزل النجزات الثقافية في
كل الوطن . فبإقصاء دور مصر الحضاري ، تفقد كل المنجزات في
الوطن العربي كله ، نافدا هاما وأساسيا ، يقضي مسارها المشوق

الى آفاق أكثر رحابة ، ويساهم في القضاء على بوادر التغيير الكيفي الذي نشهد آثاره بالفعل في مجال الثقافة العربية .

ان الامور تجري على هذه الدرجة من البشاعة والقيح ، فان عزل الكتاب ومنهم من الكتابة ، على كونه مبدأ يجب ان يقابل بالرفض والادانة ، فان اغلب هؤلاء قيم حقيقية تحرص على ان تظل في مواقعها ، وان تتمكن من قول كلمتها . ان اي كاتب لديه أدنى قدر من الشرف والشعور بالكرامة ليدفن عزله هذه القائمة الطويلة (ما يزيد عن 100 كاتباً وصحفيًا) ، ومنهم عن الكتابة والنشر ، وتعرضهم للجوع ، وقفل سبل العيش امامهم (1) ، وان هذا مقصود به في القام الاول كتم هذه الاصوات التي وضعت نفسها في موقف جديد ، مع الطلاب المصريين ، الذين يرفعون الآن ، وبصلابة وشرف ، راية النضال من أجل الديمقراطية .

لقد وضع توفيق الحكيم نفسه ، هو والكتاب الشرفاء في مصر ، في موقف جديد مشرف ، وأصدروا بياناً يؤيدون فيه مطالب الطلاب الديمقراطية ، والتي هي في النهاية مطالب الجماهير العربية ، التي تتحمل وحدها اعباء هذه المرحلة الحرجة ، اقتصادياً وسياسياً ونفسياً (2) . وكان أن أقفلت كل مجلات النشر في وجوههم ، وخربت وزارة الثقافة كل مشاريعها ، الوزارة التي من المفروض انها وزارة خدمات ، بحجة « الخسارة المادية » ، كما توقفت حركة اصدار الكتب التي تصدر عن الهيئات الرسمية ، حتى ليجد القارئ المصري نفسه في حالة جذب يحيط به من كل اتجاه .

ان جميع مجلات وزارة الثقافة في مصر قد أقفلت ، ولم يعد ثمة كتاب جاد يمكنه الظهور عن طريق مؤسسة رسمية ، وانسحب ذلك بالنائي على المؤسسات الخاصة (مسابقة لجنون الموافقة العامة) وقد عملت دور النشر الرسمية وغير الرسمية بنشاط محموم على نشر أعمال أنيس منصور ، ويسوسف السباعي ، ومصطفى محمود ، وابراهيم الورداني ، دعاة الرجعية والتخلف .

ان ملامح الصورة القبيحة هذه ، ليخجل المرء من ذكرها : صالح جودت ، المعروف بمدحه للملك وكل الملوك ، الضحل الثقافة (حتى ليتردد الواحد في تصنيفه مع الكتاب الرجعيين أنفسهم !) والذي يحيي ليلات السلاطين بكلامه الرديء مقابل زجاجات الويسكي وخرابيش السجائر ، ها هو ذا يتولى رئاسة تحرير الهلال وكتاب الهلال والكواكب ، ويعمل جاهداً على نشر غثاء زملائه من التافهين...

(1) بلغنا أخيراً ان خدمة الاستاذ محمود أمين العالم قد أنهيت في الشهر الماضي بموجب مرسوم جمهوري بناء على تقرير قدمه وزير الثقافة الاستاذ يوسف السباعي ...

(2) هذا الموقف يعكس مواقف الشرفاء من الكتاب ، كما هو النقيض لموقف مجموعة من الادباء ردت على بيان توفيق الحكيم ببيانات مضادة أصدرتها بقصد تشويه موقف الكتاب المصريين الحقيقي . فقد أصدر يوسف السباعي واتباعه بياناً مضاداً يؤيدون فيه اجراءات القمع والعزل هذه ، كما يباعدون على الاستمرار في ذلك .

ثم أعقب بيان يوسف السباعي بيان آخر دعا له رجاء النقاش يؤيد فيه نفس مطالب العزل ، ولكن هذا البيان لقي الرفض الكامل من جميع الكتاب ، كما فشلت جميع محاولات رجاء النقاش التالية للقيام بمسيرة تؤيد الوضع الراهن ، وهذا في النهاية يدعو للعبج والحيرة ، لان رجاء نفسه قد شملته اجراءات العزل التي تمت اثر التغييرات التي حدثت في 15 مايو 1972 ..

واننا ويا للعجب نرى روايات الهلال ، ربما لأول مرة بهذه الحدة ، تسقط وفي كل عدد تقدم رواية مضحكة واعلانا متكررا في جميع مجلات دار الهلال موضوعا موضع الصدارة ، يبنى القارئ عن رواية له يصفها بأنها « حدث في الادب العربي بقلم الكاتب الكبير صالح جودت » .. وحتى مجرد الخجل من الاعلان عن النفس ، لا يحسه ولا يشعر به !..

علاوة على ذلك فاننا قد اصبحنا نسمع عن تافه آخر يسمى ابراهيم الورداني ، يحاول تنصيب نفسه - في ظل ظروف القحط هذه - كاتبا كبيرا ويا للهول !..

ولقد انتهى الامر بوزارة الثقافة المصرية ، الى اصدار مجلة كهذه المسماة « الجديد » والتي لا صلة لها ولا علاقة ، حتى بمجرد الجودة . وتطيل أجهزة الاعلام وتزمر محاولة انقاذها من سقوطها الفعلي ، حتى على مستوى التوزيع ، دون طائل . ويطالعا الدكتور رشاد رشدي برواية تلو مسرحية تلو مقال ، ويرد على عشرات الخطابات الوهمية باعتباره « استاذاً » ، وهو الذي يرتكب نفس جريمة التجهيل السائدة في مصر ، وتكمل اللعبة ، وعلى طريقة دار الهلال ، ليطلع علينا الدكتور نفسه بسلسلة مطبوعات الجديد ، وأي غثاء هي !

ان من الخجل ، على سبيل المثال ، ان نذكر مسألة عزل الدكتور لويس عوض وعبد العزيز الهماني وعبد الحميد يونس ، واحلال صالح جودت واحسان عبد القدوس وعبد الرحمن الشرفاوي في اماكنهم بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ، الهيئة التي من المفروض انها أعلى هيئة رسمية ، تتولى الاشراف على مقدرات الثقافة في مصر ، بدما من تقديم جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية ، الى نشر الاعمال الاولى للكتاب المبتدئين .

وتحاول الاجهزة الرسمية ، في الوقت الحاضر ، وعلى رأسها دار الهلال ، القيام بلعبة احتوائية للشباب ، ولكن حتى هذا لم تستطع القيام به مع شاب واحد موهوب بالفعل . فتصدر انهلال ملحقاً أدبياً أسمته « الزهور » بقصد نشر اعمال الشباب ، وهؤلاء جميعاً ، نك من يوسف الشاروني وأمثاله ، في عمر الشباب بالفعل ، ولكنهم في النهاية حواريو يوسف السباعي ، وصالح جودت ...

وامعانا في التخط ، نشهد الآن دعسوة نشرت في الصحف المصرية ، عن قيام وزارة الثقافة المعنية ، بعمل ثلاث مجلات ، واحدة للنقد ، لم يعلن اسم رئيس تحريرها المرتجى ، وأخرى للقصة يرأس تحريرها ابراهيم الورداني (أي والله !) ، وثالثة للشعر يرأس تحريرها صالح جودت (أي والله العظيم !) .

ان الامور - وتكرر - لم تصل في مصر في أي فترة سابقة الى هذه الدرجة من الهيافة والتفاهة والسطحية ، فالثقافة في مصر أصبحت خراباً بالفعل . ولقد انتهت الامور الى الحالة التالية :

- جميع مجلات وزارة الثقافة (الفكر المعاصر ، المجلة ، المسرح ، السينما) مغلقة . ولم تبق سوى مجلة الكاتب ، باصرار على استمرارها من المشرفين عليها (مقابل القيام بدور التنويه ربما) وباعانة شهرية هزيلة ، وهذه المجلات جميعها أقفلت في الفترة الاخيرة .

- الدار القومية متوقفة عن نشر الكتب ، وبين حين وآخر تطلع علينا بخبر نشر مشاريع ضخمة (كاصدار معجم لاروس بالعربية) ،

في الوقت الذي هي عاجزة عن اصدار الكتب الخفيفة قليلة التكاليف !

– جريدة « النساء » (الصفحة الادبية) مقللة امام المواهب الحقيقية التي كانت تجد فيها لبعض الوقت متنفسا ، تستطيع منه ان تقول شيئا ، ولو انه لا يصل بقدر كاف الى مساحة اوسع من القاهرة والاسكندرية وما حولهما .

– الملحق الادبي للاخبار ، تحول بفضل نشاط انيس منصور اللعوف ، وبشكل صريح ، الى ملحق فني يتابع اخبار المثليين والمثليات ، وينشر صورهم الفاضحة (ليس كل الفضيحة) ، وفي اسفل كل صورة تعليق صغير على بطة الفيلم العظيم القادم المشلة الشهيرة ، باعتبار هذا التعليق نقدا ... وهكذا تمت الجريمة الى النقد السينمائي .

– آخر ساعة ، والقسم المخصص للادب فيها (وكان دائما ينشر اعمال يوسف السباعي) ولكنه قد غدا ينشر اعمال الكاتب الروحاني ، داعية الخزعبلات والتخاريف انيس منصور . وبين حين وآخر تفاجئنا المجلة بقصة او رواية مسلسلة من تأليف احد الضباط او الاطباء اصدياء احد المسؤولين ، او من شاكلهم !

– القسم الادبي بجريدة الاهرام ، بالطبع شمل جميع كتابه من الابداء فرار العزل ، فلم يعد يتوقع القارئ منه شيئا ، سوى مقال بين حين وآخر للدكتور حسين فوزي في الموسيقى او ادب الرحلات، ولم يعد يكتب نجيب محفوظ به منذ مدة طويلة ، وكذلك يوسف ادريس ولويس عوض الخ ... وهكذا يمكن ان يقال ان الاهرام اصبح خرابا ايضا .

العدد الاسبوعي من جريدة « الجمهورية » ، كان دائما يطلع علينا بقصص تافهة ، وروايات تعتمد على الاعلانات المثيرة التي تسبقها ، لكتاب من الدرجة الرابضة ، كثروت اباطة ، وعياس الاسواني ، ولكنها قد غدت تنشر لضباطين وعدة مديري عموم ، لا يحسنون مجرد الكتابة في مواضيعهم نفسها ، ويشك الواحد في معرفتهم الكتابة والقراءة ...

ويطلع علينا ابراهيم الورداني ، في كل عدد اسبوعي، بصاروخياته الوجهة الان للكتاب المعزولين بالقدر الشتائم واسفلها ...

هذه هي الصحف الاربعة المصرية كما نرى ، على هذه الدرجة من الفساحة ، علاوة على ما ينشر فيها من مقالات سياسية لكتاب النفاق ، والتزوير ، والتجارة باللمم ، وتشويه الحقائق ، هؤلاء التخلفين الطالعين علينا من العصر الحجري .

اما الملحق الادبي لمجلة « الطليعة » فقد غدا ميتا وهزيللا ، واصبح مجرد تغطية شهرية لا يحدث في ساحة الفن التشكيلي والسينمائي ، ومقال بين حين وآخر ، ولكنه لم يعد يؤدي دوره السابق ، في مطلع صدوره .

واما مجلة « الجديد » فقد قامت من اساسها لتؤدي دورا تخريبيا، تقدم تتاجا هزيللا وبين حين واخر تفاجئ القارئ بقصة او قصيدة مترجمة لكاتب عالمي في ترجمة هزيلة مشوهة بالطبع ، لانها تعتمد على مترجمين تستاجرهم من مكاتب الترجمة ، او المشتغلين بالقطعة ، وهكذا تشوه النتاج الانساني ، وكلنا يعرف ادعاء الدكتور رشاد رشدي المضحك بانتماؤه لمرسة اليوت ؟ وهو ادعاء لا يستند حتى – الى اي قدر من الاصاله ، واعداد المجلة ، وتاريخ الدكتور السابق كله تقول ذلك بصراحة ليس بعدها صراحة .

وفي دوريات دار الهلال ، فقدت مجلة الهلال دورها العظيم السابق ، وغدت تنشر مقالات هزيلة وقصصا واشعارا تافهة للبحث التي بدأت تطلع علينا من القبور ..

والملاحق التابع لهذه المجلة (الزهور) قد اصبح بالفعل مجالا يجد فيه ماسحو الجوخ ، النافهون من الشبان ، فرصة لنشر غثائهم الذي يدعون انه ادب ، وها هي ذي فرصة سانحة لتجد ابها الشاب اسمك « مطوعا » على الورق ... ويا لها من جنبيات هزيلة مقابل كل ذلك ، وباله من تلفيق على حركة الشباب ! ولقد كان كل هؤلاء معزولين بالفعل من الحركة الحقيقية للكتاب الشبان، وكانوا دائما موضع السخرية والاهمال ، فقد اثبتوا ضحالتهم وخيانتهم بطريقة قاطعة ، وهنيئا لكم ايها الصغار ، فالسيد رئيس التحرير يصدر كل عدد بالترحيب بكم ، وعلى كل غلاف كلمة ترحيب بالناشئة التي تعمل الزهور « على فتح الابواب امامها ومساعدتها لكي تقف على اقدامها الهزيلة » وهكذا نجدهم قد فقدوا حتى حس الكرامة !

وكتاب الهلال لم يصدر عددا ذا قيمة منذ تولي الادارة الجديدة اموره ، بل انه اصبح يتأخر عن الصدور في مواعده المعتاد ، ويطلع كل شهرين او ثلاثة بعدد تخريبي لكاتب من الدراويش الذين كثر عددهم في صحافتنا الغراء ..

« المصور » مخصصة بالطبع لسيلان الاعمال التافهة ، والتي تكتب في الاساس لتمجيد الوضع الحاضر لرئيس تحريرها ..

هكذا تبدو الصورة معتمة الى هذا الحد ، وها قد وصلت الامور في مصر الى هذه الدرجة ، وان اي محاولة جديدة تطلع باخبارها الصحف ، في محاولة لايهام القارئ ، بان ثمة في الافق جدينا سوف يحدث (كالمجلات الثلاث المذكورة) ما هي الا محاولة لاكمال الصورة الهزيلة ...

ان على الشباب خاصة ، وكل الكتاب الحقيقيين ، التنبه الى محاولات الاحتواء ، وعليهم مواصلة النضال باي شكل من الاشكال، والتجمع خارج اطر المجالات الرسمية ، لكشف ما يحدث من اعتقالات وعزل وقتل للثقافة في مصر .

ولا ينس كتاب مصر الشرفاء ان هناك اصواتا مخلصه للثقافة المصرية والثقافة العربية عامة ترتفع خارج مصر ، مؤيدة بشرف نضال الابداء المصريين الشرفاء .

((ع))

صدر حديثا

في الادب الليبي الحديث

الكتاب السابع للناقد المصري

احمد محمد عطية

نشر دار الكتاب العربي بطرابلس الغرب –
الجمهورية العربية الليبية